الثورة
الثلاثاء 19 رمضان 1433هـ 7 أغسطس 2012م العدد (17430)

مسنون وعجزة.. يضيعون في زحمة الحياة..!!

أبناء يتخلون عن آبائهم طوال أيام السنة ويكتفون بزيارتهم في شهر رمضان

رأي دين: عقوق الوالدين وعدم البر بهما من الكبائر

الطب النفسي:

■ إحساس المسن بأنه منبوذ يدمر نفسيته

منذ أن خلق الطفل والآباء والأمهات يعدون الأيام والسنين في انتظار اليوم الذي يأتي فيه الأبناء ليحلوا محلهم.. ويرعوهم بعد أن وضع الزمن إشارة من وهن وضعف ومرض على أجسامهم وأصبحوا عاجزين عن تدبير أمورهم الحياتية ويحتاجون للرعاية والاهتمام من قبل الأبناء.. ليس في شهر رمضان المبارك فحسب وإنما بقية أيام السنة.. فالشيخوخة مرحلة عمرية متميزة بخصائصها ومتفردة بمشاكلها تتشعب فيها معاناة المسنين بدنياً وأسرياً ونفسياً واجتماعياً..!

تحقيق/
نجلاء علي الشيباني

تجاوزت الثمانين من العمر لا تتمكن من السير ولا أحد يقودها سوى بعض أبنائها الحي.. قالت بمرارة بدموع غزيرة: لقد جرحت كثيراً وبكيت حتى فقد بصري من معاملة أبنائي التي لا يتحملها بشر لدي خمس بناتٍ لكن أزواجهن رفضوا إقامتي معهن أصبحت عبئاً عليهم بعدما عاملوني بقسوة بالرغم من بذلي لكل شيء في سبيلهن وأفنيت عمري وشبابي في تربيتهن ورعايتهن بعد وفاة والدهن حتى وصلن إلى مراحل دراسية متقدمة فمنهن المعلمة والموظفة في بنك وأخرى ممرضة والرابعة والخامسة ربات منزل.. وفي النهاية تخلين عني وكأنني شيء عديم الجدوى أو عديم الفائدة ولم تلتفت أي منهن لتوسلاتي ودموعي.. كنت أتصور وحتى هذه اللحظة أن قلوب بناتي سترق ويأتين بحثاً عني.. ليس في شهر رمضان وبزيارات مختصرة وإحضار أشياء لا قيمة لها بدون وجود أحدهن بجانبي.. لكن دون جدوى.. وعن مكان إقامتها أجابت وصوتها يتقطع ألماً أنا في منزل صغير تركه لي زوجي وأهل الخير يتصدقون لي ببعض الطعام والشراب في الأيام العادية وشهر رمضان فقد عوضني خالقي بجيران طيبين فإن الله تعالى لا يترك أحداً هذا ما حدثتنا به أم أيمان المرأة التي فقدت بصرها حزناً من قسوة بناتها.

خديجة التي عمرها التسعين عاماً رفض أبناؤها إيواءها فالبنات لا يسمح لهن أزواجهن ببقاء أمهن والأولاد ترفض زوجاتهم تحملها كونها امرأة عجوزاً وتشكل عبئاً عدص دليهم فقرروا أن يستأجروا لها مكانا بسيطاً في نفس الحي وإحضار خادمة يمكنها أن تراعي العجوز إلى أن يحل المساء وبعدها تهتم العجوز بنفسها ليلاً وأما بناتها وأولادها فيكتفون بزيارتها أيام العطل وشهر رمضان المبارك.. قبلت بالوضع.. وردت خديجة مبتسمة أن الله لا ينسى عباده لا في شهر رمضان ولا في الأيام العادية وهي لا تريد من الدنيا غير لقمة تسد بها جوعها وتجد أبناءها حولها حتى يحين أمر الله الموعود.

القصص المأساوية كثيرة فهناك رجل مسن يسكن في حي مسيك يقول بمرارة: أتمنى أن تكون أيام السنة وأشهرها كلها رمضان ففي هذا الشهر أبنائي يأتون لزيارتي ويقضون معنا بعضاً من الوقت خلاف بقية الأيام الذي لا نراهم فيه لا يطمئنون علينا وكأنهم لا يعرفوننا أنا ووالدتهم والحمد لله على كل حال.

إحساس مدمر

أن إحساس الشخص المسن بأنه منبوذ وغير مرغوب به إحساس بشع وخطير يدمر نفسيته في وقت هو أحوج ما يكون لأن يعيش في دفئ الأسرة بين الأبناء والأحفاد ويندمج معهم وينقل لهم خبرته ويتألم لألمهم ويفرح لفرحهم.. وتزداد حاجته إلى هذا الجو العائلي كلما تقدم في السن هذه ما أكده الدكتور معمر الفهد إخصائي طب نفسي ويضيف: الجو العائلي في هذا التوقيت أقوى من أي دواء.. وإشراكه في الأمور العائلية والأقارب والأصدقاء والعائلة يخرجه بدرجة كبيرة من مشاكله وهمومه لينطلق إلى عالم أكبر كما أن العناية الصحية سواء الاهتمام بغذاء المسن أو إعطائه الدواء أو تنظيف ثيابه.. كل هذا لا يمكن أن يتم على الصورة المطلوبة إلا في الجو الأسري.

يواصل الدكتور معمر حديثه قائلاً: أن أخطر ما يتعرض له المسن تلك الضغوط التي يفرضها المجتمع من خلال عقوق الأبناء وما يصاحبه من شعور بالوحدة وفقدان الثقة بالنفس وعدم وجود هدف في الحياة وحزن عميق بعدم تقدير جهودهم وأحزانهم على شبابهم الذي قضوه في تربية أبناء عجزوا عن رعايتهم أثناء كبرهم وعجزهم وحاجتهم.

ويدعو الدكتور الفهد إلى رعاية كبار السن واضعين في حسابنا مرحلة الشيخوخة كما يجب رعاية الصحة النفسية والاهتمام بحل مشكلات الشيخ أولاً بأول وإشباع حاجاته النفسية ويجب أن لا يقضي العجوز ما بقي من حياته في الفراش دون أن يرعاه أحد من أبنائه والعمل على دمج المسنين في مجتمعهم الصغير في الأسرة أو المجتمع المحلي والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم مما يرفع من معنوياتهم..

للذكر فقط

وفي الجانب الاجتماعي يرى الدكتور علي عبدالهادي أستاذ علم الاجتماع جامعة صنعاء أن الأم والأب يريدان لابنتهما أن تعيش في مسكن خاص بها ولا يحضانها على حسن مصاحبة حماها وحماتها عمها وعمتها إلى جانب طغيان النمط المادي كل هذا ساهم في وجود النزعة الأنانية التي تجعل كل إنسان لا يفكر إلا في نفسه وهو ما ساهم في إيجاد هذه المشكلة المخجلة فهل هذا هو جزاء من أفنى شبابه في خدمة أبنائه الذي كان يجوع ليشبعهم ويعرى ليكسوهم لقد كانت الأجيال السابقة أوسع صدرا أو أكثر احتراما لمجتمع العائلة وتقديرا له فكانت زوجة الابن تتعالى في خدمة حماتها وحماها لدرجة أنها كانت تفضلهما على زوجها وفي نهاية حديثه يطرح الدكتور سؤالاً هل تقبل أن يودعك أبناؤك في حجرة منعزلة عن المنزل؟ هل تشعر بمدى القهر والخيانة وأنت وحيد وسط عالم غريب بلا أهل؟ لهذا يجب أن نتذكر أن الأيام تسدور عليك وتكون موضع أمك وأبيك ولا يكفي أن نهتم بهم في شهر واحد ونتركهم بقية الأيام فرب رمضان هو رب بقية الأشهر..

كبائر الذنوب

أما علماء الدين فيرون أنه من العيب الشديد وقلة المروءة وضعف الدين أن نتخلى عن أبنائنا وأمهاتنا بهذه الصورة البغيضة المنفرة فربما كان هذا الشيخ أو العجوز باب أحدنا الذي يدخل به الجنة أن هذا العقوق ليس من ديننا في شيء فخير الأبناء هو الذي يراعي أباه طوال أيام السنة ولا يحصر رعايتهما في شهر رمضان المبارك فحسب هذه هي الرحم التي من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله فيجب أن يتسابق الأبناء لنيل رضا الآباء أما الحكم الشرعي فعقوق الوالدين ليس كبيرة فقط ولكنه من أكبر الكبائر والله تعالى قال:

«١٧وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا

« فمجرد إظهار التأفف ناهيك عن النهر يندرج تحت العقوق فما بالك بمن يخرج أباه من منزله أو يرميه وحيدا في دار المسنين تنفيذا لأمر زوجته بإبعاد أباه من منزله؟ فإذا كان الله أمرنا بمصاحبتهما بالمعروف حال شركهما بالله فما ما بالنا إذ كانا مسلمين ومؤمنين يقول الله في حديثه القدسي: «أني خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» ونحن نعلم قصة ذلك الرجل الذي احتضر ولم يستطع أن ينطق الشهادتين فلما أخبر الرسول الكريم بذلك قال: أتوني بأمه فلما جاءت قال: أكنت تأخذين عليه شيئا قالت : لا لكنه كان يقدم زوجته عليّ فقال لها سامحيه؟ فقالت لا. فقال: أتوني بنار لنحرقه حينئذ قالت: لا لقد سامحته وعندئذ نطق الشهادتين.